انتظرت قوات الاحتلال بعض الوقت ثم تقدمت وحدة أخرى نحو المبنى، ففتحت عليها النار من جديد، وعلا الصراخ وردوا على النار بنيران جهنمية ثم ساد الصمت، واستدعت قوات الاحتلال إحدى جرافاتها الضخمة، حيث تقدمت نحو البيت للبدء بهدمه، بعد عملية قصف مكثف، تقدمت الجرافة وبدأت تطحن الجدران، وفجأة وبسرعة البرق أطل أحد المجاهدين من بين الحطام وهو يصوب بندقيته نحو سائق الجرافة وأطلق النار على رأسه، فتوقفت الجرافة وقبل أن ينتبه الجنود وقادتهم لما حدث، كانت الأرض قد انشقت وابتلعته.

انفتحت النيران الرشاشة والقذائف الصاروخية على المبنى من جديد، استمر الحصار وعمليات الكر والفر ثلاثة أيام بلياليهن، وكلما اقتربت قوات الاحتلال من المبنى، انفتحت عليهم النار من جديد، وفي نهاية الأمر دمروا البناية تدميراً كاملاً، حيث لم يبق حجر قائم على حجر آخر، ثم جاءت الجرافات للبحث عن جثث المجاهدين للتأكد من وفاتهم.

عاد إبراهيم إلى غزة في الأيام الأخيرة قبيل تسلم السلطة الرسمي للقطاع حيث تقلص وجود القوات الإسرائيلية، وباتت غزة شبه خالية من وجود المحتلين وقواتهم ومؤسساتهم، حيثإأن الوضع الأمني أصبح أكثر استقراراً، والخشية في مطاردة قواتهم ورقابة عملائهم قد انخفضت بصورة كبيرة، وقد استقبلناه في الدار بالأحضان والعيون الدامعة من الفرحة بعودته سالماً.

عند عودة إبراهيم كانت مريم شخصاً آخر، غير مريم التي ودعته، وكأنها كانت قد اختزنت رقتها وعواطفها ومشاعرها لحين عودته، فانفجرت بالبكاء، ولم تعد قدماها قادرة على حملها فحاولت الاستناد إلى الجدران، ثم انسابت عليه قاعدة على الأرض، أمي كسرت عزلتها وصمتها وخرجت جارية لاستقبال إبراهيم، تقبله وتتحسس جسده وهو ينكب على يديها ليقبلها.

ومن هذه الليلة عاودنا الجلوس في غرفة أمي، والاجتماع لديها وبصورة طبيعية، فقد ناقشنا تلك الليلة عودة أخوينا ماجد وخالد، وأين وكيف سنستقبلهما؟ وقد كنا في حرج من طرح ذلك أمام أمي، ولكنها كانت المرة الأولى التي نجتمع فيها بهذه الصورة منذ جاءنا الخبر كنا في حرج لذا فقد كان حديثنا في ذلك متقطعاً، وأحدنا لم يتمكن من قول فكرة مكتملة وواضحة ابتسمت أمي قائلة: كأنكم تعتقدون أنني لا أريدهما في الدار عندنا، أنا لا مانع لدي من استقبالهما هنا، وأن يمكثا معنا على الرحب والسعة، فهما عندي مثل أي واحد منكم، وهذه الدار واسعة.